

والملاحظ أن القرآن الكريم ، فى غير هذا الموضع ، كلما استخدم الفعل « حرق » أو مشتقاته كان ذلك بمعنى التحريق بالنار ( ١٤١ ) .

وتنتهى قصة موسى وبنى إسرائيل فى هذه السورة بنفس ما ابتدأت به من تقرير الوحداينة : « إنما إلهكم الله الذى لا إله هو وسع كل شئ علماً » ( ١٤٢ ) .

وبلى ذلك قوله تعالى مخاطباً رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : « كذلك نقصّ عليك من أنباء ما قد سبق » ( ١٤٣ ) . وهذه الآية والآية التاسعة التى يخاطب فيها أيضا المولى جل جلاله نبيه محمدا بقوله : « وهل أتاك حديث موسى \* إذ ناداه ربه بالوادى المقدس طوى ) « تشبهان الصدقتين اللتين تضمان بينهما هذه القصة وتحددان فاتحتها وخاتمتها .

وتعقب القصة آيات تتكلم عن اليوم الآخر وتصف بعض أحداثه وأهواله . وقد جاء فيها قوله سبحانه إنه عند قيام الساعة « نحشر المجرمين يومئذ زُرْقًا » ( ١٤٤ ) .

وقد جاء فى تفسير كلمة « زُرْقًا » أنها ما يظهر فى أعين المجرمين من الزرق بسبب شدة العطش ، أو أنهم يُحشرون عُمياً ، قياساً على ما جاء فى قوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا » ، أو أنهم زرق العيون سود الوجوه ، وهى زرقة تشوه بها خلقتهم ، والعرب تشاءم بذلك ( ١٤٥ ) .

وقد ترجمها محمد مارمادوك بكثلى إلى الإنجليزية ب : « We assemble the guilty white - eyed ( with terror ) » ، أى « نحشر المذنبين بيض العيون ( من الفزع ) » ( ١٤٦ ) . وأرجح الظن أن المترجم ،

رحمه الله ، قد اعتمد على ماجاء فى بعض كتب التفسير من أن « الأزرق »  
قد يجىء بمعنى « الأبيض » ( ١٤٧ ) .

أما أبو الأعلى المودودى فقد ترجمها بـ « their eyes shall be dimmed  
( with terror ) : ستغيم أعينهم ( من الفرع ) » ( ١٤٨ ) ، وعلق فى الهامش  
قائلا إن بعض المفسرين يفسرونها على أنها تعنى أن أجسامهم سوف تصبح بيضاء  
كما لو لم يعد فيها قطرة واحدة من الدم ( ١٤٩ ) .

ويقول لودفيج أولمان فى ترجمته الألمانية للقرآن الكريم تعليقا ( فى  
الهامش ) على هذه الآية إن العيون الزرق هى عيون أعداء المسلمين الألداء ،  
وهم الأوربيون ، وخاصة الروم ( ١٥٠ ) . وهو كلام غريب ، وكأن المستشرق  
الألماني يريد أن يقول إن القرآن الكريم يعبر فى هذه الآية عن مشاعر المسلمين  
تجاه الأوربيين ذوى العيون الزرقاء ، أى أن القرآن الكريم ليس وحيا إلهيا ، إنما  
هو انعكاس للبيئة العربية . وفاته أن المسلمين فى ذلك الوقت لم يكونوا قد عرفوا  
الأوربيين ولا احتكوا بالروم بعد أو تحاربوا معهم ونشأت بينهم العداوات . بل إن  
المسلمين فى العهد المكى قد حزنوا لانتصار الفرس على الروم ، كما هو معروف  
فى كتب السيرة والتاريخ ( ١٥١ ) . على أن القرآن الكريم هو وحى إلهى ذو رساله  
موجهة إلى البشر جميعاً أيأ كانت ألوان أعينهم أو بشراتهم . وقد حسم الرسول  
عليه السلام هذه القضية حينما بيّن أنه لافضل لأسود على أحمر ولا لأحمر  
على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، أى أن مسألة الألوان لامكان لها فى  
الإسلام . ثم إن الإسلام قد انتشر ودخل فيه ملايين الغربيين فى شبه الجزيرة  
الآيبيرية وشرق أوربا وغربها وأمريكا وأستراليا والروسيا ، وسوف يكتسح الغرب

الذى تنتشر فيه زرقة العيون وخضرتها . وهذان اللونان من ألوان العيون يجذبان الرجل العربى أشدَّ الجاذبية . وأيضاً فلن الله منزل القرآن هو نفسه سبحانه خالق العيون الزرق ، فكيف يُتصورُ أن يعيها ؟ كذلك فلا أظن من الصواب تحديد الزرقة هنا بالعيون وقد أطلقها القرآن اطلاقاً

ثم إنى لا أفهم كيف يفسّر بعض المفسرين « زرقا » بـ « عمياً » أو « عطشى » أو « غائى الأعين من الفرع » . كذلك فإن محاولة تفسير قوله عزل وجل : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » بقوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً » ( ١٥٢ ) هى محاولة لامعنى لها ، إذ لاعلاقة بين الزرقة والعمى . كما أن الاستشهاد بالآية الأخيرة على هذا النحو غير سليم ، إذ إن الآية بكما لها كالاتى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكما وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً » ، فهل يصح تفسير « الزرقة » إذن بأنها « العمى والبكم والصمم » ؟ بالطبع كلاً وألف كلاً . إنما هذه ألوان مختلفة من العقاب لضروب مختلفين من البشر أو فى مراحل ومواضع مختلفة من عملية الحساب والتعذيب فى الحياة الآخرة . وإنما الذى يطمئن إليه عقلى ونفسى هو أن المجرمين ستزرق وجوههم ( وليس أعينهم ) من معاناة الكرب والاختناق يوم القيامة ، تعذيباً لهم . وشى غير بعيد من هذا قال سيد قطب ، رحمه الله . وهذا نص كلامه : « فإذا نفخ فى البوق للتجمع فالمجرمون يُحشرون زرق الوجوه من الكدر والغم » ( ١٥٣ ) . وقريب منه محمد إسماعيل إبراهيم ، الذى فسرها بأنهم « زرق الأبدان والوجوه رعباً وفزعاً » ( ١٥٤ ) .

ومن بين ماتتعرض له الآيات هنا بالوصف منظر جموع البشر من لدن آدم

إلى يوم القيامة وهى واقفة للحساب أمام ربها جل شأنه وعلا وقد خشعت الأصوات للرحمن فلا يُسمع إلا بعض الهمس هنا وهناك .

وقد شرح بعض المفسرين الهمس فى هذا السياق بأنه وطء الأقدام إلى المحشر (١٥٥) . ولعلمهم قالوا ذلك حتى ينفوا أن يكون ثمة كلام البتة . لكن جُماع وطء أقدام البشر كلهم لن يكون بالشىء الهين . والأوجه القول بأنه الكلام الخافت . ويؤكد هذا أن الحديث هنا إنما عن احتشاد البشر أمام ربهم ليحاسبهم ، وليس عن مشيهم إلى المحشر . فهم قد استولى عليهم الصمت ( إلا بعض الهمس الذى يؤكد الصمت ويرزه ولا ينفيه ) رهبة للجبار سبحانه ، وخضوعاً وتسليماً له ، وارتقاباً وارتعاباً من الحساب ونتائجه .

وما أروع إسناد الخشوع إلى الأصوات! إن الخشوع صفة من صفات البشر قد تنعكس على أصواتهم فتجدها خافته راجفة . أما أن تخشع الأصوات نفسها فذلك هو الفذّ البديع .

وكما أُسند الخشوع إلى الأصوات فقد أُسند العُنُو ، أى الذلة والخضوع والاستسلام ، إلى الوجوه فى قوله تعالى : « وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا » (١٥٦) . وقد يكون عنونها فى ذلك الموقف الرهيب سجوداً ، اعترافاً من الجميع كافرين ومؤمنين بألوهية الله ، ورعباً من جبروته ، وفزعاً من حسابه وطمشه .

ويقول المولى سبحانه : « وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرقنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا » (١٥٧) . والتعبير بـ « لعل » له دلالة من حيث إن إيمان البشر وطاعتهم وتقواهم إنما هى متوقفة على إرادتهم . ولو شاء الله

أن يلجنهم إلى الإيمان من أول وهلة لكان الأمر كما شاء جل وعزّ ، لكنه سبحانه شاء أن يخلى بينهم وبين ما يختارون ، وعليهم تقع تبعه هذا الاختيار :  
إمّا لصالحهم وإمّا وبالا عليهم .

وجملة « يُحَدِّثْ لَهُمْ ذِكْرًا » معناها أن الذكر ليس موجوداً ، وأنه قد ينشأ بعد عدم ، وذلك إذا استجاب الإنسان للدعوة الإلهية . والذكر قد يكون معناه التنبيه والإفاقة من الغفلة ، وقد يكون معناه الشرف والسمة . والكلمة هنا تحتل المعنيين جميعاً ، فقد نزل القرآن ليذكر العرب برّبهم الذى جحدوه وليذكرهم بواجباتهم تجاه الفقراء والمساكين التى أهملوها ، وليذكرهم بمكانتهم فى الكون التى نسوها . وكذلك نزل القرآن ليجعل لهم بين العالمين ذكرا ورفعة ومجداً ، بعد أن كانوا أمة مهملة لاقيمة لها على مسرح السياسة العالمية ولا فى مضمار الحضارة البشرية ، وهو ما كان ، إذ أصبح العرب بعد استجابتهم لدعوة الإسلام سادة الدنيا ، واستمر ذلك قرونا متطاولة لم تستطع أمة خلالها أن تنازعهم السيادة . ثم خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ ازدادوا ابتعادا عن الدين وروحه ومراميه حتى انتهى الأمر إلى ذلك الضعف المزرى الذى عرفته أمم الإسلام فى العصور الأخيرة ومازلنا نعيشه حتى الآن ، حتى إن أذلّ وأحقر وأشدّ الأمم هوانا على الله والعباد ، وهم اليهود ، يسوموننا كل يوم الخسف ويقتلون أهلينا فى فلسطين وبيقرون بطون بناتنا ونسائنا ويهدمون المنازل ويخرجون المسلمين من ديارهم ويشردونهم فى العراء ، وذلك جهارا نهارا وعبانا بيانا ، ونراه رأى العين على شاشات التلفاز كل يوم ، لامرة واحدة بل عدة مرات بعدد نشرات الأخبار ، غير مانظالعه فى الصحف ونسمعه فى الإذاعات المختلفة ، ولا يحرك شىء من

ذلك فينا حميةً ، بل نمارس حياتنا بطمأنينة بل ببلادةٍ وغلظ جلود وقلوب ،  
وكان شيئاً لم يكن .

وترد في هذا السياق عبارة عجيبة يجب أن نتنبه إليها وإلى دلالتها وأن  
نوليها من الأهمية ماتستحقه . وهي قوله تعالى لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام :  
« وقل رب زدني علماً » (١٥٨) . ولم يحدث في القرآن كله أن أمر الله رسوله  
عليه السلام أن يستزيد من شيء كما أمره في هذه الآية أن يستزيد من العلم .  
ولا عجب في ذلك ، فبالعلم ميز الله آدم ونبيه ، وبالعلم بُنِيَ الحضارات وتقدم  
البشرية ، وبالعلم تنتصر الدول على أعدائها وعلى مشاكلها ، وبالعلم تتحقق  
رُقَهْنِيَةِ الأفراد والمجتمعات ، وبالعلم يزداد الإنسان إنسانية ويسمو ويرتقى . ولو  
مضينا نعدد مزايا العلم وأفضاله ما انتهينا . ولهذا قال الرسول عليه السلام عن  
العلماء إنهم ورثة الأنبياء ، وجعل مدادهم يوزن بدماء الشهداء .

والمسلمون اليوم متخلفون في مضمار الحضارة ، وحقوقهم مهضومة ،  
ومكانتهم في ساحة السياسة الدولية زرية محتقرة ، وذلك أنهم لم يعودوا يهتمون  
بالعلم وتركوا زمامه لغيرهم واكتفوا هم بتقمم فتاته من على موائد الآخرين .  
فياحبذا لو تمعنوا في هذه العبارة وعملوا بمقتضاها متأسين فيها برسولهم الكريم  
صلى الله عليه وسلم ومليين نداء ربهم ، الذي يريد لعباده الصالحين أن يزدادوا  
من العلم ، على اختلاف ألوانه ومجالاته : من علم شرعي وتاريخي ولغوي وطبيعي  
وطبي ... إلى آخر ضروب تخصصاته وموضوعاته .

وتذكر الآية الخامسة عشرة بعد المائة العهد الذي عهد به الله سبحانه إلى  
آدم ، وهو ماتوضحه الآيات التي بعد ذلك من أنه سبحانه قد طمأنه إلى أنه قد

كفل له فى الجنة مايشبعه من جوع ومايكسوه من عرى ومايرويه من ظمإٍ وما يظله ويحميه من حرّ ، لقاء ألا يستمتع لوسوسة عدوّه اللدود الشيطان فىأكل من الشجرة التى نهاه عن الأكل أو الاقتراب منها . لكن آدم نسى هذا التحذير الإلهى ، ونسى أن الشيطان له بالمرصاد وأنه كاذب مخادع ، ونسى أنه منهى عن الأكل من تلك الشجرة ، فوقع فى المحذور بعد أن تهاوت عزيمته : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً » . وهذا النسيان وتهاوت العزيمة لا ولن يزال يتكرر وقوعه من أبناء آدم الذين لم يتعلموا الدرس مما وقع لأبويهما بسبب ضعفهما أمام وسوسات الشيطان وخروجهما إثر ذلك من النعيم المقيم إلى عالم الشقاء والقلق والهموم والغموم وتعب الجسد والروح .

ولعل سائلا يسأل عن نوع الشجرة التى حرّم الله على أبونا الاقتراب منها وهل كانت شجرة تين أو كرم أو قمح مثلاً كما يقول المفسرون ، فنقول إن ذلك مما صمت عنه القرآن الكريم ولم نُكَلَّفْ بالسعى لمعرفة ، ثم هو مما لافائدة فيه . ويمكن أن يقال إن الشجرة علامة على المعصية . وقد ذكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله أنها « تمثل المحذور الذى لا بد منه لتربية الإرادة وتأكيد الشخصية والتحرر من رغائب النفس وشهواتها بالقدر الذى يحفظ للروح الإنسانية حرية الانطلاق من الضرورات عندما تريد فلا تستعبد لها الرغائب وتقهرها . وهذا هو المقياس الذى لا يخطئ فى قياس الرقى البشرى . فكلما كانت النفس أقدر على ضبط رغائبها والتحكم فيها والاستعلاء عليها كانت أعلى فى سلم الرقى البشرى ، وكلما ضعفت أمام الرغبة وتهاوت كانت أقرب إلى البهيمية وإلى المدارج الأولى » ( ١٥٩ ) . أما القول بأنها كانت شجرة حنطة أو

كرّم أو تين أو غير ذلك فهو خبط بلا دليل

وللأستاذ أبى الأعلى المودودى تعقيب نافذ ذكى على قوله تعالى عن آدم وحواء بعد أن أكلا من الشجرة المحرمة : « فأكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » (١٦٠) ، وهو أنهما « ما إن عصيا الأمر الإلهى حتى حُرما من سائر ما كان يتمتعان به . بيد أنه من الطبيعي أن يكون أول ماشعرا به هو عُربهما من الملبس . ثم بعد ذلك عندما تتابع شعورهما بالجوع والعطش... إلخ تنبها إلى أنهما قد حُرما من كل المتع التى كانا يتمتعان بها فى الجنة » (١٦١) . يريد أن يقول إن الإنسان إذا حُرّم من الطعام فإنه يأخذ وقتا يهضم فيه ما فى بطنه منه ويخرجه قبل أن يشعر بالجوع، وكذلك الحال مع الماء والإحساس بالعطش، بخلاف الحال فيما لو سُلِب الإنسان ما يرتديه من ملابس، فإن العرى يقع ويحسّ الشخص به فى الحال . وهذا أفضل تفسير قرأته فى هذه الآية .

وكعادة المفسرين لم يسكتوا عن نوع الورق الذى خصف آدم وحواء عليهما منه ، فقالوا إنه ورق التين (١٦٢) ، مع أن القرآن سكت عن تحديده وجعله مطلقا ، إذ أضافه إلى الجنة كلها لا إلى شجرة منها بعينها . قال : « وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة » . وعلينا أن نلتزم بما جاء فى نصوص الوحى ، ولا سيما أنه لافائدة من البحث عن ذلك .

ويذكر القرآن أن الله سبحانه قد تاب على آدم وغفر له معصيته : « وعصى آدم ربه فغوى \* ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (١٦٣) . وهنا مفرق الطريق بين الإسلام والنصرانية ، التى تورّث خطيئة آدم لذريته دون ذنب



جنوه ، والتي زوّرت الشرك بادّعاتها أن عيسى عليه السلام هو ابن الله أرسله إلى الأرض ليكفّر عن البشر تلك الخطيئة التي ورثوها عن أبيهم... إلى آخر هذا الكفر الغليظ الذى يفرضونه على أتباعهم فرضاً مراغمة للمنطق والعقل السوى السليم والذى يخططون لفرضه على أهل التوحيد فى إفريقيا وآسيا بل وأوروبا أيضاً ، وهو مما يدعو إلى الدهشة والعجب ، إذ يصرّ أهل الكفر والباطل على إرغام أصحاب الحقّ على ترك حقهم وتوحيدهم الصافى النقى ، واعتناق هذا الرّجس الذى تشمئز منه الفطر السليمة والقلوب الحية والعقول المتسيرة! لقد أعلنها القرآن الكريم صيحة مدوية : « لَتُجْزَى كل نفس بما تسعى » . إن الله تعالى ، برحمته وواسع كرمه ، يفرّ الذنب الذى اجترحه الشخص نفسه إذا تاب وأناب ، فكيف يُدعى عليه سبحانه أنه يواخذ الذرارى بذنوب الآباء؟ إن هذا لمفهوم غريب يتنافى مع عدل الله وفضله وعفوه وغفرانه . وهو مفهوم يرفضه الإسلام رفضاً باتاً قاطعاً .

وكانت نتيجة الأكل من الشجرة أن « قال ( الله سبحانه ) اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوّ فأباً يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا يضل ولا يشقى \* ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (١٦٤) .

وعند بعض المفسرين أن الخطاب هنا لآدم وإبليس (١٦٥) . ولا أظن هذا صحيحاً ، فإنّ العداوة بين آدم وإبليس عداوة قديمة ، أما العداوة فى الآية فطارئة مع هبوط آدم وحواء إلى الأرض . ولاننس أن مصير إبليس مفروغ منه منذ البداية ، وهو الجحيم . فكيف يقال له ولذرتيه ( مثلما يقال للبشر ) : «

فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى ... « إلخ الآيات ؟ لقد توعد إبليس منذ مشهد الخلق الأوّل أن يعمل على إغواء آدم ونسله ، وطلب من ربه أن يمهله إلى يوم يبعثون ، فأجابه الله إلى ماطلب . فالغرض من وجوده فى الدنيا معروف سلفاً ، ولا يُتصوّر فى حقه أن يصيح سماعه إلى صوت الهداية .

والصواب فيما نرى هو أن يكون المخاطبان هما آدم وحواء ، فقد نسيا العهد وانخدعا بكلام إبليس المعسول وأكلا من الشجرة المنهى عنها وعصيا بذلك الله سبحانه ، فكان جزاؤهما أن أهبطا من الجنة . وقد ذكر القرآن قبل ذلك تحذير الله سبحانه لهما من إبليس ، إذ قال عز وجل لهما : « فلا يخرجكما من الجنة فتشقى » . فكيف غاب هذا عن أولئك المفسرين الذين قالوا إن الكلام فى « أهبطا منها جميعاً » هو لآدم وإبليس ؟

أما تفسير « بعضكم لبعض عدو » فهو مانراه من انتشار الغيرة والحسد والأحقاد بين البشر . والسبب هو أن غرائزنا تسول لكل واحد منا الطمع فى أن يحصل على كل شىء ، أو على الأقل أن يكون له من كل شىء النصيب الأكبر . وهذا محال ، لأن أكبر نصيب من أى شىء لايمكن أن يكون إلا لشخص واحد ، بله أن يكون من الممكن استثثار كل واحد منا بكل شىء . والتاريخ الإنسانى هو فى معظمه تاريخ العداوات والمؤامرات والمطامع والحروب والتقتيل والتدمير . وإن الإنسان منا ليكاد يصمّ من دوى المدافع والقنابل والصواريخ والدمار الذى تمطرنا به نشرات الأخبار من كل مكان . فأين هذا مما كان أبوا البشر ينعمان به من سكينه بالٍ ورخاء حال فى الجنة الأولى ؟

وقد أوعد الله من يعرض عن دعوة الهدى ولايؤمن بالله أو يذكره بأن

تكون معيسته ضنكا ويحشره يوم القيامة أعمى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى » (١٦٦) . والمفسرون مختلفون فى المعيشة الضنك : متى تكون ؟ بعضهم يرى أنها فى الدنيا ، وبعضهم يرى أن ذلك فى الآخرة فى جهنم . وهناك أيضا من يقول إنها عذاب القبر . ولست مع الذين يجعلونها فى هذه الدنيا ، إذ ما أكثر الكفار الذين يعيشون فى هذه الحياة عيشة موسعة ، سواء الأفراد منهم أو الجماعات ! وهذا أمر لا يقبل مرأى ، لأنه واضح لكل ذى عينين . وفى هذه السورة نفسها يقول المولى تعالى شأنه لنبيه صلى الله عليه وسلم : « ولا تمدن عينيك إلى مامتعا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا » (١٦٧) . ويقول عز من قائل فى شأن الكفار : « متاع فى الدنيا ثم إلبنا مرجعهم » (١٦٨) ، « وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها » (١٦٩) . وأرى أن المعيشة الضنك تنتظر الكفار بيقين بعد الموت : فى القبر ، وفى الآخرة جميعاً (١٧٠) . أما فى الدنيا فقد تكون معيشتهم ضنكا أو لا تكون .

ويعرّ الطبرى رحمه الله على أنها هى عذاب القبر فقط دون جهنم ، وذلك لقوله تعالى فى آخر الآية : « ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى » ، فالتعبير بأفعل التفضيل معناه أن هناك مفضولاً ، وهو يرى أن ذلك المفضول هو عذاب القبر ، الذى سيكون شديداً وطويلاً ، ولكن عذاب جهنم أشد منه وأبقى (١٧١) . لكن مارأيه رحمه الله فى أن قوله سبحانه : « ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى » أتى عقب قوله أيضا : « ونحشره يوم القيامة أعمى » ؟ وعمى يوم الحشر هو من عذاب الآخرة ، فهل تراه يقول إن هذا داخل كذلك فى المفضول ، ويكون عذاب

الآخرة مفضلاً على نفسه ؟ إن الحل فى رأى هو أن المفضل هنا مطلق ، على معنى أن عذاب الآخرة أشد وأدوم من كل عذاب آخر يمكن أن يخطر لأحد على بال

وعن العمى فى قوله تعالى : « ونحشره يوم القيامة أعمى » نجد من يقول إنه عمى الرؤية ، ومن يقول إنه العمى عن الحجة . ولست أفهم كيف يقول بهذا الرأى الأخير فريق من المفسرين ، إذ أية حجة يمكن أن تكون لمن أعرض فى الدنيا عن ذكر الله ؟ وهل لو كانت له حجة يمكن أن يحرمه منها الله سبحانه وهو العادل الرحيم ؟ إن الكافر المعرض عن ذكر الله قد ضيع هنا على الأرض كل حجة له وانتهى الأمر . ومن ثمَّ فإنى أرى أن العمى فى الآية هو الحرمان من الرؤية بالعين ، وهو عقاب يضاف إلى العقابات الأخرى ، ومن شأنه أن يجعل العذاب أقطع وأشنع . ويؤكد هذا أن ذلك المعرض عن ذكر الله يسأل ربه : « لم حشرتنى أعمى وقد كنتُ بصيراً ؟ » . ولا أظنُّ هذا سؤالاً عن حجة ضاعت منه ، بل عن رؤية حرم منها ، وإلا كانت له فى الدنيا رغم كل ذلك حجة ؟ فهل هذا معقول ؟ إن فى إرسال الرسل قطعاً لأية حجة للعباد على ربهم : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » (١٧٢) .

ومما ينصح الله به رسوله أنه ينبغى عليه ألا يمدّ عينيه إلى متاع الدنيا الذى يتقلب فيه فريق من الكافرين ، فهذه ليست إلا زهرة الحياة الدنيا ، التى سرعان ماتجفّ وتصوّح ، ولا يبقى فى أيديهم منها إلا الحسرة والندامة على أنهم لم يقوموا بواجب الشكر لله عليها وفشلوا فى الإفادة منها بما ينفعهم فى

أخراهم : « ولا تمدن عينيك إلى مامتّنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا  
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى » (١٧٣).

والتعبير عن التطلع والتشوق إلى مافى يد الآخرين بمدّ العين هو من  
التعبيرات الفذة . ونحن فى العامية نعبّر عن تطلع الشخص بحرقّة إلى شىء ليس  
فى يده بـ « طلوع العين » . أما القرآن فإنه لا يكتفى بهذا ، بل يجعل الشخص  
يمكن أن يمدّ عينيه فعلاً . إن المدّ متصوّر فى حق الذراع والرّجل مثلاً ، أما  
مدّ العين فهو تعبير طازج عجيب .

ومعنى « أزواجاً منهم » : « جماعات مختلفة منهم » ، فمن معانى  
« الزوج » النوع والصفة ، كما فى قوله تعالى مثلاً فى هذه السورة نفسها :  
« فأخرجنا به ( أى بالمطر ) أزواجاً من نبات شتى » (١٧٤) . فـ « أزواجاً  
منهم » معناها « أصنافاً منهم » ، أو بعبارة أخرى : « جماعات مختلفة  
منهم » . أما تفسير الشيخ محمد الطاهر بن عاشور « الأزواج » هنا بأنها  
الرجال وزوجاتهم (١٧٥) فلا يبدو وجيهاً . وقد ترجمها محمد حميدالله إلى  
الفرنسية بهذا المعنى : « certain couples d'entre eux » (١٧٦) . أما الترجمة  
الفرنسية التى اتخذت من ترجمة حميدالله أساساً لها ومنطلقاً فقد ترجمتها إلى  
المعنى الذى اخترناه لها : « certains groupes d'entre eux » (١٧٧) . وقد  
نقلها إلى الإنجليزية أيضاً بهذا المعنى مترجمو تفسير المودودى :  
« different kinds of people » (١٧٨) .

وفى الآية التى تلى ذلك يأمر الله سبحانه رسوله محمداً صلى الله عليه  
وسلم أن يصطبر على أداء الصلاة ويأمر أهله بها : « وأمر أهلك بالصلاة

واصطبر عليها لانسالك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى « ( ١٧٩ )

وفريضة الصلاة ذات أهمية شديدة فى الدين ، فهى من وجهة ترجمة للإيمان بالله المستكن فى ضمير المسلم ومصداق له . وهى من جهة ثانية تربط العبد بمولاه ولا تتركه هملأ فى الدنيا شاعراً بالضياح فى هذا الكون الرحيب الرهيب . والصلاة أيضا تحفظ على الإنسان توازنه النفسى وترطب روحه وتدفع عنه غوائل اليأس والجزع والهزيمة أمام مصائب الحياة . وهى كذلك تذكره دائما بربه ، وتساعده من ثم على أن يفىء بسرعة إلى جادة الصواب نادماً تائباً كلما تسلط عليه الشيطان وجرفه إلى سبل الغواية والضلال . وأخيراً هل نحن بحاجة إلى أن نذكر فوائد الصلاة للصحة للإنسان وتنشيطها له عن طريق ما فيها من حركات يشترك فيها كل أعضاء الجسم ، وكذلك عن طريق الضوء الذى يسبقها ؟ لذلك وغيره كانت الصلاة عماد الدين ، وجاءت آيات وأحاديث كثيرة تحت عليها وتبرز أهميتها .

وارسال الرسل هو حجة الله على العباد . وبعدها لا يحق أحد أن يشكو . والله سبحانه يبين هذا جلياً فى قوله : « ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبّله ( أى من قبل الرسول والقرآن ) لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذلّ ونخزى » ( ١٨٠ ) .

# الهوامش

- ١- انظر هذه التفسيرات فى كتب التفسير المختلفة ، كالطبرى والزمخشري والقرطبي والشوكانى والألوسى مثلا
- ٢- انظر تفسير « البحر المحيط » لأبى حيان فى كلامه على هذه الآية . وقد حكاها عنه الألوسى فى « روح المعانى » عند تفسيره لهذه الآية .
- ٣- انظر « روح المعانى » للألوسى / ١٦ / ٢٠٨ ، حيث يوجد بيت للنابلسى يُسمّى فيه النبى بـ « طه » .
- ٤- مريم / ١ - ٢ .
- ٥- الشورى / ١ - ٣ .
- ٦- محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقبطى / أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن / مطبعة المدنى / ١٩٦٥ م / ٤ / ٣٩٩ .
- ٧- انظر فى ذلك كله تفسير القرطبي / ٤٢٠٥ - ٤٢١٠ . وفى تفسير « الدر المنثور » مثله وأشدّ .
- ٨- انظر مثلا الطبرى / ١٦ / ١٣٨ ، والدر المنثور / ٥ / ٥٥٢ .
- ٩- النمل / ٧ .
- ١٠- القصص / ٢٩ .
- ١١- انظر على سبيل المثال القرطبي / ٥ / ٤٢١٢ ، والدر المنثور / ٥ / ٥٥٤ .
- ١٢- خروج / ٣ / ٣ .
- ١٣- انظر « الدر المنثور » / ٥ / ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- ١٤- طه / ١٩ - ٢١ .
- ١٥- النمل / ١٠ ، والقصص / ٣١ .
- ١٦- انظر القرطبي / ٥ / ٤٢٣١ ، والدر المنثور / ٥ / ٥٦٥ ، وفتح القدير / ٣ / ٣٦٢ ، و « التفسير الواضح » للدكتور محمد محمود حجازى / ١٦ / ٤٦ ، و « تيسير التفسير » لإبراهيم القطان / ط ١ / عمان / ١٤٠٤ - ١٩٨٣ م / ٣ / ٩٠ .
- ١٧- انظر ترجمته للقرآن إلى الإنجليزية / ٧٩٤ .

18- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII., P. 93 .

19- Le Saint Coran et la traduction en langue francaise du sens de ses versets , complexe du Roi Fahd , Al-Madinah al-Munawwarah , P. 313 .

٢٠- انظر مثلا تفسير الطبري /١٦/٥٩ ، والفخر الرازي /٢٢/٤٧-٤٨ .

٢١- انظر « روح المعاني » /١٦ / ١٨٢ .

## 22- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII, P. 95-96.

٢٢- المرجع السابق / نفس المجلد السابق والصفحة .

٢٤- انظر مثلا المرجع السابق / ١٦ / ١٨٣ ، والفخر الرازي / ٢٢ / ٤٨

٢٥- انظر د . محمد محمود حجازي / التفسير الواضح /١٦/٤٦-٤٧ .

٢٦- انظر « فى ظلال القرآن » /٤/٢٢٢٣ ، وتفسير التحرير والتنوير /١٦/٢١١-٢١٢ .

٢٧- انظر تفسير الطبري /١٦/١٥٩ .

٢٨- انظر الفخر الرازي /٢٢/٤٨ .

٢٩- طه /٣٦ .

## 30- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 98

٣١- المرجع السابق / نفس المجلد والصفحة .

٣٢- الزخرف /٥٢ .

٣٣- طه / ٢٩-٣٢ .

## 34- Le Saint Coran , P. 408.

٣٥- القصص / ٣٤ .

٣٦- انظر « روح المعاني » /١٦/١٨٥ .

٣٧- طه / ٣٧ .

٣٨- الرازي / التفسير الكبير/٢٢/٥١ .

٣٩- يوسف /٩٠ .

٤٠- الطور /٢٧ .

٤١- النحل /٦٩-٦٨ .

٤٢- انظر « روح المعاني » للألوسي /١٦/١٨٧ ، حيث أورد المؤلف ذلك كله وناقشه بالتفصيل .

٤٣- انظر « فتح القدير » للشوكاني /٣/٣٦٤ . وعبارته : « والمراد مايلي الساحل من البحر لا نفس

الساحل » .

٤٤- انظر تفسير الفخر الرازي/٢٢/٥٣ .



- ٤٥- طه / ٣٩ .
- ٤٦- خروج / ٢١/٢ .
- ٤٧- انظر تفسير القرطبي / ٥/ ٤٢٣٨ .
- ٤٨- انظر « التفسير الكبير » / ٥٥/ ٢٢ .
- ٤٩- انظر « فتح القدير » / ٣/ ٣٦٥-٣٦٦ .
- ٥٠- انظر « روح المعاني » / ١٦/ ١٩٣ .
- ٥١- انظر « تفسير التحرير والتنوير » / ١٦/ ٢٢١ .
- ٥٢- انظر د . محمد الطيب النجار / تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية / ١٨٦-١٨٧ .
- ٥٣- محمد أحمد العدوى / دعوة الرسل إلى الله تعالى / ٢٧٢ .
- ٥٤- د . محمد الطيب النجار / تاريخ الأنبياء / ١٨٦ .
- ٥٥- سيد قطب / فى ظلال القرآن / ٥/ ٢٦٨٧ / هامش ١ .
- ٥٦- طه / ٤٤ .
- ٥٧- طه / ٤٧ .
- ٥٨- النازعات / ١٨ - ١٩ .
- ٥٩- انظر مثلا تفسير الفخر الرازى / ٢٢ / ٥٨ .
- ٦٠- طه / ٥٠ .
- ٦١- تفسير الفخر الرازى / ٢٢ / ٦٦ .
- ٦٢- وقد ترجمها الصادق مازينغ فى ترجمته الفرنسية للقرآن الكريم هكذا :  
« Notre Maitre est Celui qui assigne a chaque etre sa forme distincte ... »  
ومعناها : « ربنا الذى أعطى كل مخلوق شكله المميز ... » . انظر :  
Le Coran , traduit par Sadok Mazigh , Maison Tunisienne de l ' edition , P.  
589 .
- ٦٣- انظر فى ذلك مثلا الرازى / ٢٢ / ٦٦ - ٦٧ ، والألوسى / ١٦ - ٢٠٣ - ٢٠٤ .
- ٦٤- القصص / ٣٦ .
- ٦٥- القصص / ٤٣ .
- ٦٦- طه / ٥٥ .

67-The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 101 .

٦٨- آل عمران / ١٣٣ ، والحديد / ١١ .

٦٩- إبراهيم / ٤٨ .

70- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 122 .

٧١- الطلاق / ١٢ . وفى الحديث مثلا : « أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع » (ابن

حنبل / ٥ / ١٣٥ ) ، و « خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين » ( البخارى / مظالم / ١٣ ، وابن

حنبل / ٢ / ٩٩ ) .

٧٢- الأعراف / ٤٤ - ٥٠ .

٧٣- طه / ٥٧ .

٧٤- إبراهيم / ١٣

٧٥- النمل / ٥٦ .

٧٦- الأعراف / ٨٨ .

٧٧- المنافقون / ٨ .

٧٨- الممتحنة / ١

٧٩- ذكر القرآن دعوى فرعون هذه أيضا فى الأعراف / ١١٠ ، ١٢٣ ، والشعراء / ٣٥ .

٨٠- الرازى / ٢٢ / ٧١ .

٨١- فتح القدير / ٣ / ٣٧٠ .

٨٢- الألوسى / ١٦ / ٢٩٦ .

٨٣- انظر كتابه « تيسير التفسير » / ٣ / ٩٧ .

٨٤- انظر « فى ظلال القرآن » / ٤ / ٢٣٤٠ ، و ٥ / ٢٦٧٦ .

٨٥- خروج / ١ / ٨ - ٢٢ .

٨٦- انظر كتابه « تاريخ الأنبياء فى ضوء القرآن الكريم والسنة » / ٥ / ١٧٦ .

٨٧- انظر كتابه « النبوة والأنبياء » / دار الارشاد / بيروت / ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م / ١٧٨ - ١٧٩ .

٨٨- قولى : « إذا صحت » احتراز واجب ، إذ إن هذه القصة لم ترد فى القرآن الكريم ولم يأت لها

ذكر فى « المهد القديم » .

٨٩- طه / ٥٨ .

٩٠- انظر فى ذلك كتب التفسير المختلفة ، ود . محمد الطيب النجار / تاريخ الأنبياء / ١٩٧٧ .

91- Le Coran , P. 591 .

٩٣- الأعراف / ٣١ .

٩٤- النور / ٣١ .

٩٥- النور / ٦٠ .

٩٦- الصافات / ٦ .

٩٧- النحل / ٨ .

٩٨- الكهف / ٢٨ ، والأحزاب / ٢٨ .

٩٩- يونس / ٨٨ ، والقصص / ٧٩ .

١٠٠- طه / ٦٤ .

١٠١- انظر كتب التفسير المختلفة .

١٠٢- الصف / ٤ .

103- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII, P. 98 .

١٠٤ - السابق / ٧ / ١٠٦

١٠٥ - خروج / ٧ / ١٢ .

١٠٦ - طه / ٧٠ .

١٠٧- انظر في ذلك الشنقيطي / أضواء البيان / ٤ / ٤٧٤ .

١٠٨ - خروج / ١١ / ٢ - ٣ ، و ١٢ / ٢٦ . وقد ردّد الطبري هذا الكلام قائلاً إن موسى أخبر قومه

أن الله مغمهم هذه الحليّ من المصريين . انظر تفسيره « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » / ١٦ /

١٩٨ . والأفضل الوقوف عند ما جاء في القرآن الكريم ، الذي لم يأت فيه إلا أن الحليّ كانت للقوم ،

أى للمصريين . أما كيف حصلوا عليها ومن الذي أمرهم بأخذها فذلك مما لم يتعرض له كتابنا .

١٠٩- طه / ٨٨ . وهذا التعبير قد ورد بنصه في الأعراف / ١٤٨ .

١١٠- انظر مثلاً الطبري / ١٦ / ٢٠٠ ، والقرطبي / ٥ / ٤٢٧٥ ، والرازي / ٢٢ / ١٠١ - ١٠٢ .

١١١- انظر القرطبي / ٥ / ٤٢٧٥ ، والشوكاني / ٣ / ٣٨٠ .

١١٢- انظر تفسيره « أضواء البيان » / ٤ / ٤٩١ .

١١٣- انظر د . محمد محمود حجازي / التفسير الواضح / ١٦ / ٦٠ .

114- First Encyclopaedia of Islam , Vol. VII, P. 136.

١١٥- الطبرسي / مجمع البيان في تفسير القرآن / مكتبة الحياة ، بيروت ، تمة الجزء ١٦ / ١٣٤ .

هي الآية الرابعة والثلاثون من سورة « ص » .

١١٧ - فى ظلال القرآن / ٤ / ٢٣٤٧

١١٨ - تفسير التحرير والتنوير / ١٦ / ٢٨٦

119- Mohammed Marmaduke Pickthall , The Meaning of the Glorious Koran , Mentor Book , New York , p.132 .

١٢٠ - طه / ٨٨ - ٨٩ .

١٢١ - انظر مثلاً الطبرى / ١٦ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، والطبرسى / سمة الجزء ١٦ / ١٢٤ ، والشوكانى / ٣ / ٢٨١ . وقد اختار محمد حميد الله هذا التفسير الأخير ( انظر تعليقه على الآية فى « Le Saint Coran » / ص ٤٦٤ ، فى الحاشية ) ، أما الترجمة القرآنية التى عنوانها أيضا « Le Saint Coran » والتى تمت بإشراف الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالملكة العربية السعودية وجعلت من ترجمة محمد حميد الله أساساً لها فقد حذف تعليق حميد الله هذا وذكرت ، من بين ما قبل فى تفسير تلك الكلمة ، الرأى القائل بأنهم قصدوا أن موسى قد نسى ربه ( أى العجل ) هنا وذهب يطلبه فى مكان آخر ( ص / ٣١٨ ) .

١٢٢ - انظر د . محمد البهى / تفسير سورة الأعراف / ١٣٩

١٢٣ - طه / ٨٧ - ٨٨ .

١٢٤ - طه / ٩٦ .

١٢٥ - أو أنه إذا أخذ قبضة من التراب الذى داسته قدما موسى عليه السلام وطرحها على الذهب خرج منه عجل له خوار .

١٢٦ - لم يورد الطبرى والقرطبى والسيوطى مثلاً إلا التفسير الأول . أما الرازى فقد عزا التفسير الثانى إلى أبى مسلم الأصفهانى وزكاه ( ٢٢ / ١١١ ) . وقد استبعد الألوسى هذا التفسير وردّه بقوة ( ١٦ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ) . أما الشيخ عبد الوهاب النجار فقد أخذ به ، ورأى د . محمد محمود حجازى ( التفسير الواضح / ١٦ / ٦١ ) أنه لا ضير فيه . كما أخذ به أيضا الشيخ القطان ورأى أنه أقرب إلى الصواب ( تيسير التفسير / ٣ / ١٠٩ - ١١٠ ) ، وكذلك فسّر به الآية د . محمد الطيب النجار ، الذى رفض التفسير الآخر بكل قوة ، مستعبدا نزول جبريل عليه السلام إلى الدنيا على فرس يتجول بها فيها ودبّ الحياة فى التراب الذى مر عليه حافرها ( تاريخ الأنبياء / ٢١٩ - ٢٢٠ ) .

127- Mawdudi , The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 117 .

١٢٨- فى ظلال القرآن / ٤ / ٢٣٤٩ .

١٢٩- طه / ٩٧

١٣٠- جامع البيان / ١٦ / ٢٠٦

١٣١- انظر مثلاً القرطبي/٥/٤٢٨١ ، والرازي / ٢٢ / ١١٢ .

١٣٢- انظر الرازي / ٢٢ / ١١٢

١٣٣- اللاتين / ١٣ / ٤٥ - ٤٦ .

134- The Meaning of the Qur'am , Vol. VII , P. 120 .

135- The Holy Qur'an ( translated by him ) , P. 810 , n. 2622 .

١٣٦- انظر كتابه « تاريخ الأنبياء » / ٢١٨ .

١٣٧- طه / ٩٧ . .

١٣٨- انظر فى ذلك الطبرى مثلاً / ١٦ / ٢٠٨ .

١٣٩- انظر فى ذلك القرطبي / ٥ / ٤٢٨٢ - ٤٢٨٣ ، والألوسى / ١٦ / ٢٥٧

١٤٠- خروج / ٣٢ / ٢٠ .

١٤١- وردت ألفاظ مادة « ح ر ق » فى القرآن ثمانى مرات ، إلى جانب هذه الآية .

١٤٢- طه / ٩٨ . وقارن بالآية / ١٤ فى أول القصة .

١٤٣- طه / ٩٩ .

١٤٤- طه / ١٠٢

١٤٥- انظر الطبرى / ١٦ / ٢١٠ ، والرازي / ٢٢ / ١١٤ - ١١٥ .

146- The Meaning of the Glorious Koran , P. 232 .

١٤٧- انظر مثلاً الألوسى / ١٦ / ٢٦١ .

148- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 119 .

١٤٩- السابق / ٧ / ١٢١ .

١٥٠- Der Koran , 257 , n. 30 . هذا ، وقد ورد فى ترجمة غلام مالك فريد الإنجليزية

للقرآن أن المقصود بذلك هم أوريو العصر الحديث . وقد رددت على هذا التفسير فى دراسة لى عن هذه

الترجمة القاديانية ، وبينت أن الكلام فى الآية إنما هو عن يوم القيامة لا عن عصرنا هذا . وفى ترجمه

عبدالله يوسف على التى أعادت النظر فيها وتحتها لجنة تابعة للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية

والإفتاء والإرشاد بالسعودية أن « زرقا » معناها أن لهم عيوناً تختلف عن اللون العادى ، الذى هو فى

الشرق أبيض وأسود ( The Holy Qur'an , P. 904 , n. 2627 ) ، وكان الأمور يوم القيامة

ستجرى على المقاييس العربية . إن ذلك لعجيب !

١٥١- ومع ذلك فلان الألوسى يقول فى تفسيره للزرقعة فى هذه الآية : « وإنما جعلوا كذلك لأن الزرقعة أسوأ ألوان العين وأبغضها إلى العرب ، فلان الروم الذين كانوا أشد أعدائهم عداوةً زُرُقُ » (روح المعانى / ١٦٦ / ٢٦٠) . ولعل المستشرق الألماني قد اعتمد على مثل هذا الكلام فيما قاله  
١٥٢- الإسراء / ٩٧ .

١٥٣- فى ظلال القرآن / ٤ / ٢٣٥٢

١٥٤- محمد إسماعيل إبراهيم / معجم الألفاظ والأعلام القرآنية / ط ٣ / دار الفكر العربى / ٢١٩ .

١٥٥- انظر مثلا الطبرى / ١٦ / ٢١٤ - ٢١٥ ، والرازى / ٢٢ / ١١٨ . وقد ترجمها إلى الإنجليزية بهذا المعنى عبدالله يوسف على ( The Holy Qur'an , P. 813 ) ، وإلى الألمانية لودفيج أولمان ( Der Koran , 257 ) . وهذا أحد معانى الهمس . انظر مثلاً « القاموس المحيط »

١٥٦- طه / ١١١ .

١٥٧- طه / ١١٣ .

١٥٨- طه / ١١٤ .

١٥٩- فى ظلال القرآن / ٤ / ٢٣٥٣ .

١٦٠- طه / ١٢١ .

161- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 128 , n. 101.

١٦٢- تفسير الطبرى / ١٦ / ٢٢٤ ، والقرطبى / ٥ / ٤٢٩٥ ، والشوكانى / ٣ / ٣٩٠ ،  
والشنقيطى / ٤ / ٥٣٢ .

١٦٣- طه / ١٢١ - ١٢٢ .

١٦٤- طه / ١٢٣ - ١٢٤ .

١٦٥- الطبرى / ١٦ / ٢٢٤ ، والقرطبى / ٥ / ٤٢٩٨ ، والألوسى / ٢٢ / ١٢٩ ، و « تفسير التحوير  
والتنوير » للطاهر بن عاشور / ١٦ / ٣٢٨ .

١٦٦- طه / ١٢٤ .

١٦٧- طه / ١٣١ .

١٦٨- يونس / ٧٠ .

١٦٩- القصص / ٦٠ .

١٧٠- انظر فى الآراء المختلفة فى ضنك المعيشة : الطبرى مثلا / ١٦ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .

١٧٠- انظر فى الآراء المختلفة فى ضنك المعيشة : الطبرى مثلا / ١٦ / ٢٢٦ - ٢٢٧

١٧١- الطبرى / ١٦ / ٢٢٨ .

١٧٢- النساء / ١٦٥ .

١٧٣- طه / ١٣١ .

١٧٤- طه / ٥٣ .

١٧٥- انظر « تفسير التحرير والتوير » / ١٦ / ٢٤٠ .

176- Le Saint Coran , P. 419 .

177-Le Saint Coran , Complexe du Roi Fahad, Al-Madinah Al-Munawwarah , p.321.

178- The Meaning of the Qur'an , Vol. VII , P. 127 .

١٧٩- طه / ١٣٢ .

١٨٠- طه / ١٣٤ .

## مسائل لغوية وأسلوبية فى السورة

من هذه المسائل الاستثناء فى قوله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى \* إلا تذكرة لمن يخشى » (١) . وتذكرة من يخشى ليست داخلية فى الشقاء ، فهى إذن استثناء منقطع . ومثله ما جاء فى نفس السورة : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى » (٢) ، إذ ليس إبليس واحداً من الملائكة . ومع ذلك فهناك من المفسرين القدماء من جعلوه منهم ، ظنا منهم فيما يبدو أنه مادام قد استثنى من الملائكة فهو ملكٌ مثلهم . ثم لما وجدوا أن القرآن يذكر أنه « كان من الجن » (٣) قالوا إن الجن قبيلة من قبائل الملائكة (٤) .

ومن المفسرين المحدثين يُعَدُّ د . محمد البهى هو كذلك إبليس من الملائكة ، مؤكداً أنه كان داخلاً فى الأمر الإلهى لهم بالسجود ، وإلا لم يكن عاصياً بمخالفته ذلك الأمر . وهو يرى أن الملائكة كلهم ينتمون إلى عالم الجن ، وهم الكائنات المخلوقة من نار صافية (٥) . ومن الواضح أن كلامه هذا لا يتسق مع ما جاء فى القرآن الكريم ، الذى لم ينسب إبليس قط فى أى موضع منه إلى جنس الملائكة ، والذى يفرق بين هذه المخلوقات وبين الجن تفرقة حاسمة لا ريب فيها ، والذى يصفهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . أما أن إبليس لا بد أن يكون من الملائكة وإلا لم يكن عاصياً بمخالفة الأمر الإلهى للملائكة بالسجود لآدم فليس بلازم ، بل من الممكن مثلاً أنه كان حاضراً ذلك المشهد ، وكان يستطيع أن يسكت مادام الأمر غير موجه إليه ، لكن كبره قد



غلب عليه فانبرى يتحدى ويخالف ويعلن أنه أفضل من آدم وأنه لن يسجد له مع الساجدين .

كذلك ادعى المستشرقون أن إبليس فى الإسلام ملك من الملائكة ، مستندين أيضاً إلى هذا الاستثناء الذى تكرر أمثاله فى القرآن الكريم (٦) . وقد رددتُ على هذا المزعم فى كتابي « المستشرقون والقرآن » ، واستشهدت بعدد من الآيات الكريمة التى ورد فيها الاستثناء منقطعاً ، ومنها الآية الثالثة من هذه السورة ، وهى الآية التى بدأت بها هذه الفقرة ، وذلك لأبّين أن إعرابنا « إبليس » فى الآية التى نحن بصددنا وأمثالها فى القرآن على أنه من الاستثناء المنقطع ليس فيه أدنى اعتساف . وفضلاً عن ذلك فالقرآن الكريم قد قرّر فى أكثر من موضع أن إبليس مخلوق من نار (٧) ، فهو إذن من الجن ، الذين أنبأنا القرآن أنهم كذلك مخلوقون من نار (٨) . كذلك فيإبليس قد عصى الله تعالى حين لم يستجب لأمره بالسجود لآدم ، أما الملائكة فلا يعرفون العصيان ، بل يفعلون ماأمرهم به الله ويخافون معصيته عزّ وجلّ (٩) . وإذا كان موقف المستشرقين مفهوماً ، حيث إنهم متأثرون فى ذلك بما جاء فى « الكتاب المقدس » لديهم من أن إبليس كان ملكاً من الأملاك ثم سقط بالمعصية ، فماعذر أولئك المفسرين المسلمين الذين قالوا فى إبليس ما قالوا ؟

ومن شواهد هذا الضرب من الاستثناء فى القرآن الآيات التالية : « ما لهم به من علم إلا اتباع الظن » (١٠) . « قالوا ( أى الملائكة لإبراهيم عليه السلام ) « إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين \* إلا آل لوطٍ إنا لمنجوتهم أجمعين » (١١) . « فإنهم (أى الأوثان) عدوّ لى إلا ربّ العالمين » (١٢) .

« فكذبوه فإنهم لمحضرون \* إلا عباد الله المخلصين » (١٣) . « إني براء مما تعبدون \* إلا الذي فطرني فإنه سيهدين » (١٤) . « لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً \* إلا قيلاً سلاماً سلاماً » (١٥)

فى سورتنا عدد من الأفعال المتعدية أتت مطلقة دون ذكر مفعولها ، ومعظمها واقع فى أواخر الآيات فواصل : « إلا تذكرة لمن يخشى » (١٦) « لعله يذكر أو يخشى » (١٧) . « قال إني معكما أسمع وأرى » (١٨) « قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » (١٩) . « لا يضل ربي ولا ينسى » (٢٠) ، « فكذب وأنبى » (٢١) . « وقد خاب من افتري » (٢٢) . « إنا أن تلقى وإنا أن نكون أول من ألقى » (٢٣) . « قال بل ألقوا » (٢٤) « وأضل فرعون قومه وما هدى » (٢٥) . « فكذلك ألقى السامرى » (٢٦) . « هذا إلهكم وإله موسى فنسى » (٢٧) . « فسجدوا إلا إبليس أبى » (٢٨) . « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » (٢٩) .

ولعله قد لوحظ أن بعض الأفعال التى استُخدمت على هذا النحو قد تكررت فى السورة .

وفى أسلوب القرآن إيجاز كثير ، ومن هذا الإيجاز الاستغناء فى هذه الأفعال عن المفعول به . ولا شك أن لاعتبار تحقيق الجمال الصوتى فى الآيات مدخلاً فى ذلك ، حيث جاءت معظم حالات حذف المفعول مع الأفعال التى أتت فواصل . ثم إن حذف المفعول يجعل الفعل صالحاً للوقوع على أكثر من شىء بدلاً من تقييده ( إذا ذكر المفعول ) بشىء واحد هو ذلك المفعول .

وهناك قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما

تسعى « (٣٠) ، الذى وقف المفسرون وعلماء النحو فيه أمام الفعل « كاد » متسائلين عن معناه ، وقالوا كلاماً مختلفاً أعرضه هنا وأعلق على كل رأى بما يتراءى لى :

قال بعضهم إن « أكاد » هنا تعنى المقاربة وإن المعنى : أكاد أسكت فلا أذكر أنها آتية (٣١) . أى أن الإخفاء هنا لا يقع على الساعة ذاتها بل على الكلام عنها . بيد أن هذا التفسير يتعارض مع ما هو مبثوث فى القرآن الكريم مكيه ومدنيه فى مواضع كثيرة منه عن الساعة ، فكيف يقال إن الله سبحانه يكاد لا يتحدث عنها وهو عز وجل قد كرّر الحديث عنها فى مواضع كثيرة فى كتابه ؟

وقال بعض : « أكاد أخفيها » معناه « أريد إخفاءها » . ولكن السؤال هو : هل هناك ما يمكن أن يمنعه سبحانه وتعالى من ذلك إذا أرادته ؟ ثم إن هذا المعنى لم يرد لـ « كاد » فى أى موضع من المواضع الثلاثة والعشرين الأخرى فى القرآن الكريم .

وقال آخرون إن « كاد » هنا زائدة ، والمعنى : إن الساعة آتية أخفيها . ولكن لماذا زيدت « كاد » هنا ، هذه الزيادة التى أدت إلى هذه التفسيرات المختلفة ؟ علاوة على أن هذا الاستعمال لانظير له فى مواضع « كاد » الأخرى فى القرآن الكريم ؟

وقال غير هؤلاء إن « أخفيها » هنا ( بفتح الهمزة أو ضمها ) معناها « أظهرها » . والمعنى إذن : إن الساعة آتية أكاد أظهرها . لكن لماذا لم يُستعمل هذا الفعل فى القرآن بذلك المعنى إلا هنا ؟

وقال بعض آخر إن المعنى : أكاد أخفيها فلا تظهر البتة ، ولكن لا بد من إظهارها . أى أن أمر إخفائها قد وصل إلى هذه الدرجة من الشدة ( ٢٢ ) .  
ولعل التفسير الأخير هو أقرب التفسيرات إلى أن يكون صواباً . أما القول بأن معناها ، على ما روى عن مجاهد وعن قتادة ، هو : « أكاد أخفيها من نفسى » فهو تفسير جدّ غريب وغير مقبول البتة ، إذ كيف يمكن أن يخفى شيء عن الله سبحانه وهو العليم السميع البصير الذى لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء ؟ ( ٢٣ ) بل كيف يتصور أن يخفيها هو عز وجل عن نفسه ؟

ومن الكلمات التى توقف المفسرون والنحويون عند إعرابها فى السورة كلمة « تلك » فى قوله عز من قائل : « وماتلك بيمينك يا موسى ؟ » : قيل فى إعرابها إنها ليست اسم إشارة ، بل اسم موصول ، والمعنى : « وما التى بيمينك يا موسى ؟ » ويكون شبه الجملة « بيمينك » هو صلة الموصول . وأوردوا بيت شعرٍ شاهداً على استخدام « هذا » اسماً موصولاً . وقيل : بل هى اسم إشارة على أصلها . ولكن ماذا عن شبه جملة « بيمينك » ؟ إنه يُعَرَّبُ حالاً . وفى الحالتين فإن إعراب الجملة كلها هو كالتالى : « ما » : اسم استفهام خبر مقدم (أو مبتدأ) ، وكونها خبراً أفضل ، لأن الكلمة التى تقابلها فى الجواب هى خبر [ هكذا : « تلك عصاى » ] . و « تلك » : مبتدأ . و « بيمينك » : إنّياً صلة الموصول ( إذا أعربنا « تلك » اسماً موصولاً ) ، وإما حال ( إذا أعربناها اسم إشارة ) ( ٢٤ ) .

ويرى الطبرى أن قوله تعالى : « فَلْيُلْقِهِ اليمّ بالساحل » ( من الآية

الكريمة التالية : « إذ أوحينا إلى أمك ما يُوحَى \* أن اذفيه فى التابوت فاقدفيه فى اليم فليلقه اليمُّ بالساحل يأخذه عدوُّ لى وعدوُّ له » ( ٣٥ ) هو جواب الأمر فى « فاقدفيه فى اليم » ، ولكنه أخذ هو نفسه صورة الأمر ، وأن المعنى هو : « فاقدفيه فى اليم يُلقه اليمُّ بالساحل » . وقاس الطبرى ذلك على قوله تعالى على لسان الكافرين مخاطبين المؤمنين : « اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم » (٣٦) ، إذ المعنى عنده : « اتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم » ( ٣٧ ) .

لكن فات الطبرى أن جواب الأمر ( أو كما يسميه هو « الجزاء » ) موجود فى الآية ، وهو « يأخذه عدوُّ لى وعدوُّ له » . كما فاته أن التعبير بصيغة الأمر فى قوله : « فليلقه اليمُّ بالساحل » معناه أن الله قد تكفل بذلك ، إذ قد أمر سبحانه به ، وأمر الله نافذ : « كن ! فيكون ! » . وثمة نكتة ثالثة ، وهى أن تأويله ينسى الجمال الذى فى الخطاب الإلهى لليمِّ وكأنه شىء يعقل ويؤمر فيستجيب . وشىء آخر خطر لى ، ولا أدرى مدى صواب رأى فيه ، وهو أن الله سبحانه باستعمال صيغ الأمر فى الأفعال الثلاثة : « اذفيه - اذفيه - فليلق » قد التفت إلى أم موسى واليمِّ بما يفيد رضاه عنهما ، بخلاف فرعون ، الذى أهمله سبحانه ولم يكرمه بتوجيه الأمر إليه ، وسماه فى الآية باسم « عدوُّ لى وعدوُّ له » . فإذا قلنا إنَّ « فليلقه » هى جزاء خرج مخرج الأمر فأخشى أن يعنى هذا على الانتباه لهذه النقطة . وهو رأى أضعه بين يدى القارئ ليرى رأيه فيه .

وهناك قوله تعالى عن عبّاد العجل : « أفلا يرون ألا يرجعُ إليهم قولا

ولا يملك لهم ضراً ولا نفعا « (٣٨) ، حيث رفع الفعل المضارع « يرجع » وكذلك الفعل « يملك » المعطوف عليه ، مع مجيئهما عقب « أن » . والسبب هو أن « أن » هذه ليست « أن » المصدرية التي ينتصب بعدها الفعل المضارع ، بل هي « أن » ( من أخوات « إن » ، التي ينتصب بعدها المبتدأ ويبقى الخبر مرفوعاً ) ، لكن مخففة . وهذا معروف لانقف عنده . إنما الذى أود الوقوف أمامه قليلاً هو الاختلاف الذى كان يعترى المعنى لو كانت « أن » هذه هي « أن » المصدرية التي ينتصب المضارع بعدها ، إذ كان الكلام حينئذ سيكون معناه : « أليس ( ينبغى فى ) رأيهم ألا يرجع ( أى العجل ) إليهم قولاً إلخ » ، وهو ما لا يصح هنا ، لأن رجع العجل القول إليهم أو عدم رجعه لا يتوقف على ما ينبغى فى رأيهم أو لا ينبغى ، لأنه حقيقة موضوعية خارجة عما يصح فى رأيهم أو لا يصح . فالفعل « يرون » هنا مشتق من « الرؤية » لا « الرأى » . أما قوله تعالى على لسان موسى لهارون عليهما السلام : « مامنك ... ألا تتبعن ؟ » (٣٩) ، فقد يظن بعض أنه كان ينبغى أن يكون « مامنك أن تتبعنى ؟ » ، إذ إن هارون بقى مع بنى إسرائيل بعد عبادتهم للعجل ولم يتركهم ويتبع أخاه ، فالسؤال هنا إذن عما منعه أن يتبعه لا عما منعه ألا يتبعه . بيد أن هذا استعمال عربى فصيح . وقد تكرر فى القرآن (٤٠) ، ولم نسمع أن أحداً من معاصرى النبى عليه السلام قد خطأه . ويبدو لى أن فى هذا التركيب تأكيداً لانجده فى التركيب الآخر الخالى من « لا » ، التى يقول بعض إنها زائدة (٤١) . ذلك أن المعنى فيما أتصور هو كالتالى : « مامنك وجعلك لا تتبعنى ؟ » ، فكأن المعنى كرّر مرتين : مرة بالنفى « مامنك أن تتبعنى ؟ » ،

ومرة بالايجاب « ماجعلك لاتتبعنى ؟ » . وفى اللغة الفرنسية تركيب مثل هذا يُزاد فيه نصف علامة النفى فى تلك اللفظة ، وهو «ne» ، وذلك فى صيغة الشك . وفى السورة استعمال للفعل « هدى » استعمالاً فريداً ، فهذا الفعل هو من الأفعال المتعدية ، فنقول : « هدى الشخص ( أو الشيء ) الفلانى فلاناً » لكنه فى الآية التالية : « أفلم يهد لهم كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ؟ » ( ٤٢ ) قد جاء لازماً ، إذ أصبح التركيب هكذا : « هدى الشيء الفلانى لفلان ( بدلاً من « فلانا » ) . » . ويبدو أن فى الفعل تضميناً ، وأن الفعل « يهدى » استُخدم بمعنى « يبين لهم ( سوء كفرهم وعنادهم ) » ( ٤٣ ) .

ولكن أين فاعل « يهد » ؟ بعضهم قال : الفاعل هو « كم » ، لكن رُدَّ عليه بأن « كم » استفهامية فلا يعمل فيها ما قبلها . ثم إن « كم » على أية حال منصوبة بـ « أهلكتنا » ( ٤٤ ) .

والواقع أن « كم » هنا ليست استفهامية بل هى خبرية ، وهذا من الواضح بمكان . والمعنى : « أفلم يبين لهم سوء كفرهم كثرة القرون الذين أهلكتناهم من قبل والذين يمشى قومك يارسول الله فى مساكنهم ؟ » . لكن هذا لا يحل مشكلة البحث عن فاعل للفعل « يهد » ، لأن « كم » ( خبرية كانت أو استفهامية ) هى منصوبة بـ « أهلكتنا » على المفعولية . لكن لماذا نعتقد أن الفاعل لابد أن يكون مفرداً ؟ إن الفاعل هنا هو جملة « كم أهلكتنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم » كلها ( ٤٥ ) . وهذا واضح من التفسير الذى شرحتُ به الآية فى أول هذه الفقرة .

هذا ، وتكثر أفعال الأمر كثيرة ملحوظة فى هذه السورة . ويبدو لى أن ذلك راجعٌ إلى انتشار الحوار فيها . وأغلب الأوامر فيها صادرة من الله سبحانه . وتبرز فى السورة أفعال النهى أيضا ، ولنفس السبب ، ولكنها ليست بكثرة أفعال الأمر .

كذلك قد تكرر فى السورة ست مرات تأكيد الفعل المضارع باللام ونون التوكيد : « فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ » (٤٦) ، « فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ » (٤٧) ، « وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جَذوعِ النَّخْلِ » (٤٨) . « وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى » (٤٩) . « لَنُحْرِقَنَّكَ » (٥٠) . « ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّ فِي الْيَوْمِ نَسْفًا » (٥١) . وكلها كما ترى فى التهديد

وفى السورة تركيب تكرر مرتين لم لاحظ وروده فى أى موضع آخر فى القرآن الكريم . وهو يجرى على النحو التالى : « إن لك أن ( لا ) تفعل » : « إن لك فى الحياة أن تقول لامساس » (٥٢) ، « إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى » (٥٣) .

ومما تنفرد به السورة عن غيرها من القرآن الكريم أنها هى السورة الوحيدة التى دخلت فيها « الفاء » على الفعل « قل » فى التركيب التالى : « يسألونك عن كذا ، قُلْ : كذا وكذا » ، الذى تكرر فى القرآن أربع عشرة مرة ، كلها بدون هذه « الفاء » ، ماعدا قوله تعالى فى سورتنا : « ويسألونك عن الجبال ، فقل ينسفها ربي نسفا » (٥٤) . وهذه من الأسرار الأسلوبية فى القرآن .

وقد حاول محمود بن حمزة الكرماني تعليل وجود « الفاء » هنا بأن



الأسئلة في الآيات الأخرى كانت قد وُجّهت فعلا إلى الرسول عليه السلام ، أما السؤال هنا فهو سؤال مفترض ، وأن المعنى هو : « إن سُئِلت عن الجبال فقل : ينسفها ربي » ( ٥٥ ) . ولا أدري مدى صحة هذا التوجيه .

وفي السورة أيضا عدد من الألفاظ التي لا وجود لها في أى سورة أخرى من القرآن ، وهى : طه - الثرى - نعل - أتوكأ - سيرة - مآرب - الساحل - اصطنع - ينى - لين - سَوَى - يُسْحِت - المثلَى - استعلى - يخيل - ييس - لحية - مساس - نَسْف - زُرُق - صفصف - أمت - عَنَّا - ضنك .

وفي السورة سبع جمل شرطية أداة الشرط فيها « مَنْ » : « إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى » ( ٥٦ ) ، « ومن يأت مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى » ( ٥٧ ) ، « ومن يحل عليه غضبى فقد هوى » ( ٥٧ ) ، « من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرا » ( ٥٩ ) ، « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما » ( ٦٠ ) ، « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى » ( ٦١ ) ، « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » ( ٦٢ ) . وفى جميع هذه الجمل نرى الفاء واقعة فى جواب الشرط .

وفي السورة بناءً اثنتين ملحوظ فى كثير من المواضع ، وذلك مثل : « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى » ( ٦٣ ) ، « لعلّى آتاكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى » ( ٦٤ ) ، « فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » ( ٦٥ ) ، « فلا يصدتك عنها ( عن الساعة ) من لا يؤمن بها واتبع هواه » ( ٦٦ ) ،

« اشدد به أزرى \* وأشركه فى أمرى » ( ٦٧ ) ، « كى نستحك كثيرا \*  
 ونذكرك كثيرا » ( ٦٨ ) . « لعله يتذكر أو يخشى » ( ٦٩ ) ، « إنا نخاف أن  
 يفرط علينا أو أن يطغى » ( ٧٠ ) ، « إتنى معكما أسمع وأرى » ( ٧١ ) ،  
 « فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرروا النجوى » ( ٧٢ ) ، « قالوا آمنا بربِّ هارون  
 وموسى » ( ٧٣ ) ، « لتعلمن أننا أشدُّ عذاباً وأبقى » ( ٧٤ ) ، « وأضل فرعون  
 قومه وماهدى » ( ٧٥ ) ، « نزلنا عليكم المنّ والسلوى » ( ٧٦ ) ، « فاتبعونى  
 وأطيعوا أمرى » ( ٧٧ ) ، « لاترى فيها عوجاً ولا أمّتا » ( ٧٨ ) ، « إلا من  
 أذن له الرحمن ورضى له قولا » ( ٧٩ ) ، « فلا يخاف ظلماً  
 ولا هضماً » ( ٨٠ ) ، « وعصى آدم ربه فغوى » ( ٨١ ) ... إلخ .

والملاحظ أن السورة تحوى قصتين : قصة موسى ، وقصة آدم ( وهذه  
 اثنيّية ) . وكل من القصتين تدور فى الأساس حول شخصيتين رئيسيتين  
 مرتبطين ارتباطاً وثيقاً : موسى وهارون فى الأولى ، وآدم وحواء فى الثانية  
 ( وهذه اثنيّية ) . وقد اتخذت المعجزة الإلهية فى لقاء موسى برته صورتين :  
 العصا واليد ( وهذه اثنيّية ) .

# الهوامش

- ١- طه / ٢ - ٣ .
- ٢- طه / ١٦ / ١١٦ .
- ٣- الكهف / ٥٠ .
- ٤- انظر في ذلك مثلاً الطبري / ١٥ / ٢٥٩ - ٢٦٠ ، والطبرسي / الجزء الخامس عشر / ١٧٠ ، وأبوحيان / البحر المحيط / مكتبة مطابع النصرالحدیثة / الرياض / ٦ / ١٣٦ .
- ٥- انظر د. محمد البهي / تفسير سورة الجن / دار الفكر/٢/١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م / ٨ .
- ٦- البقرة / ٣٤ ، والأعراف / ١١ ، والحجر / ٣١ ، والإسراء / ٦١ ، والكهف / ٥٠ ، وص / ٣٤ .
- ٧- الأعراف / ١٢ ، وص / ٧٦ .
- ٨- الحجر / ٢٧ .
- ٩- النحل / ٥٠ ، والأنبياء / ٢٧ - ٢٨ ، والتحريم / ٦ .
- ١٠- النساء / ١٥٧ .
- ١١- الحجر / ٥٩ .
- ١٢- الشعراء / ٧٧ .
- ١٣- الصافات / ١٢٨ .
- ١٤- الزخرف / ٢٧ .
- ١٥- الواقعة / ٢٦ .
- ١٦- طه / ٣ .
- ١٧- طه / ٤٤ .
- ١٨- طه / ٤٦ .
- ١٩- طه / ٥٠ .
- ٢٠- طه / ٥٢ .
- ٢١- طه / ٥٦ .
- ٢٢- طه / ٦١ .

- ٢٣- طه / ٦٥ .
- ٢٤- طه / ٦٦ .
- ٢٥- طه / ٧٩ .
- ٢٦- طه / ٨٧ .
- ٢٧- طه / ٨٨ .
- ٢٨- طه / ١١٦ .
- ٢٩- طه / ١٢٢ .
- ٣٠- طه / ١٥ .
- ٣١- انظر السيوطي / همع الهوامع / دار المعرفة / بيروت / ١ / ١٢٩ .
- ٣٢- انظر كتب التفسير المختلفة عند تفسير هذه الآية .
- ٣٣- انظر مثلا الطبري / ١٦ / ١٤٩ - ١٥٠ ، والقرطبي / ٥ / ٤٢٢٥ ، والطبرسي / تمة الجزء السادس عشر / ٩١ .
- ٣٤- انظر مثلا الطبري / ١٦ / ١٥٣ ، والقرطبي / ٥ / ٤٢٢٦ ، والطبرسي / تمة الجزء السادس عشر / ٩٤ . وفي استعمال « هذا » اسما موصولا انظر أيضا ابن هشام / قطر الندى وبل الصدى / تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد / ١٢٢ . وهو رأى الكوفيين . ولم يذكر الطبري في إعراب « تلك » سواء ، على حين ذكر الطبرسي الرأيين واختار إعرابها اسم اشارة .
- ٣٥- طه / ٣٨ - ٣٩ .
- ٣٦- العنكبوت / ١٢ .
- ٣٧- انظر مثلا الطبري / ١٦ / ١٦١ . وانظر أيضا القرطبي ( ٥ / ٤٢٣ ) ، الذي يقول نفس الشيء ولكن بإيجاز .
- ٣٨- طه / ٨٩ .
- ٣٩- طه / ٩٣ .
- ٤٠- الأعراف / ١٢ .
- ٤١- انظر مثلا القرطبي / ٥ / ٤٢٧٧ ، والشنقيطي / أضواء البيان / ٤ / ٥٠٤ - ٥٠٥ .
- ٤٢- طه / ١٢٨ . وقد ورد هذا الاستعمال أيضا في الأعراف / ١٠٠ ، والسجدة / ٢٦ .
- ٤٣- يقول د . محمد محمود حجازي إن « هدى » هنا بمعنى « تبين » ، أى أنه لاتضمنين . انظر

« التفسير الواضح » / ١٦ / ٦٩ .

٤٤- انظر فى ذلك القرطبى / ٥ / ٤٣٠٠ .

٤٥- انظر الطبرى ( ٢٣١/١٦ ) ، الذى يقول شينا شيها بهذا ، مع مراعاة اختلاف المصطلحات

وانظر كذلك « البحر المحيط » لأبى حيان / ٦ / ٢٨٨ - ٢٨٩

٤٦- طه / ٥٨ .

٤٧- طه / ٧١ .

٤٨- طه / ٧١ .

٤٩- طه / ٧١ .

٥٠- طه / ٩٧ .

٥١- طه / ٩٧ .

٥٢- طه / ٩٧ .

٥٣- طه / ١١٨ .

٥٤- طه / ١٠٥ .

٥٥- انظر كتابه « أسرار التكرار فى القرآن » / تحقيق عبدالقادر أحمد عطا / دار الاعتصام / ٤١

٥٦- طه / ٧٤ .

٥٧- طه / ٧٥ .

٥٨- طه / ٨١ .

٥٩- طه / ١٠٠ .

٦٠- طه / ١١١ .

٦١- طه / ١٢٣ .

٦٢- طه / ١٢٤ .

٦٣- طه / ٧ .

٦٤- طه / ١٠ .

٦٥- طه / ١٤ .

٦٦- طه / ١٦ .

٦٧- طه / ٣١ - ٣٢ .

$$\cdot 31 - 32 / ab - 71$$

$$\cdot 33 / ab - 79$$

$$30 / ab - 70$$

$$37 / ab - 71$$

$$\cdot 72 / ab - 72$$

$$\cdot 70 / ab - 72$$

$$\cdot 71 / ab - 72$$

$$79 / ab 70$$

$$80 / ab - 77$$

$$\cdot 90 / ab - 77$$

$$\cdot 107 / ab - 78$$

$$\cdot 109 / ab - 79$$

$$\cdot 112 / ab - 80$$

$$\cdot 121 / ab - 81$$

## بين سورة « طه » وسورة « الأعلى »

قُبيلَ رمضان ( ١٤١٣ هـ ) وأثناء إعداد هذه الدراسة كنتُ أصلى الجمعة .  
وفى الركعة الأولى قرأ الخطيب بعد « الفاتحة » سورة « الأعلى » . ولم يكد  
يعضى فى آياتها الأولى حتى انبثق فى ذهنى تنبُّه إلى أن بينها وبين سورة  
« طه » عدداً من وجوه الشبه القوى .

من ذلك أن الفاصلة التى تسود سورة « الأعلى » هى الفاصلة فى الأغلبية  
العظمى من آيات سورة « طه » ، وهى فاصلة الألف .

ليس ذلك فحسب ، فإن معظم فواصلها موجودة فى سورة « طه » : كما  
هى ( وهو الغالب ) ، أو على وجه التقريب . وهاهو ذا البيان :

سبح اسم ربك الأعلى (١)	قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (٨٦)
الذى خلق فسوى (٢)	لانخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى (٥٨)
والذى قدر فهدى (٣)	والسلام على من اتبع الهدى (٤٧)
	رنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠)

سنقرئك فلا تنسى (٦)	لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢)
	فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦)
إنه يعلم الجهر وما يخفى (٧)	فإنه يعلم السر وأخفى (٧)
فذكر إن نفعت الذكرى (٩)	وقد آتيناك من لدنا ذكراً (٩٩)
	لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً (١١٣)

سِذَّكَرَ مِنْ يَخْشَى (١٠)

وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١)

لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَى (٧٧)

مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢)

فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧)

فَمَنْ ابْتَعَ هَدَايَ فَلَا يَضِلَّ وَلَا يُشْقَى (١٢٣)

لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٣)

فَإِنْ لَهُ جَهَنَّمُ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٤)

وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى (٧٦)

إِنَّمَا تَقْضَى هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢)

أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١)

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)

وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (١٢٧)

وَرِزْقِ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٣١)

أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيْنَهُ مَا فِي الصَّحْفِ الْأُولَى (١٨)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (٩)

قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوْسَى (١٩)

قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى (٢٦)

ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤٠)

فَمَنْ رِيكُمَا يَا مُوسَى (٤٩)

لِتَخْرُجْنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٢٧)

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧)

الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى (١٢)

ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (١٣)

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)

بَلْ تَوَثَّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦)

وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧)

إِنْ هَذَا لَفِي الصَّحْفِ الْأُولَى (١٨)

صَحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)



آمنّا بربّ هارون وموسى (٧)

وما أعجلك عن قومك يا موسى (٨٣)

حتى يرجع إلينا موسى (٩١)

ولعلنا قد لاحظنا أن كثيرا من الألفاظ والعبارات فى سورة « الأعلى »

موجودة فى سورة « طه » بنصّها أو على نحو قريب منها

ونفس الشئ يصدق على كثير من المعانى فى السورتين :

وسبّح اسم بك الأعلى (١) وسبّح بحمد ربك (١٣٠)

ومن آتاء الليل فسبّح وأطراف النهار (١٣٠)

الذى خلق فسوّى \*

والذى قدر فهدى (٢ - ٣) أعطى كل شئ خلقه ثم هدى (٥٠)

والذى أخرج المرعى (٤) فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى \*

كلوا وارعوا أنعامكم (٥٣ - ٥٤)

سنقرئك فلا تنسى (٦) ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك

وحيه (١١٤) (◊)

إنه يعلم الجهر وما يخفى (٧) فإنه يعلم السر وأخفى (٧)

فذكر إن نفعت الذكرى (٩) وصرقنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو

يُحدث لهم ذكرا (١٣)

---

◊- نزلت كلتا الآيتين لتطمين الرسول أن الله قد تكفل له بالألّ ينسى القرآن الذى يأتيه به جبريل .

ومن ثم فلا داعى للتعجل بتريده ما يقرؤه عليه جبريل من الوحي .

والآخرة خير وأبقى (١٧) واللّه خير وأبقى (٧٣)  
إن هذا لفي الصحف الأولى (١٨) أولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى (١٣٢)  
صحف إبراهيم وموسى (١٩) ( اسم موسى عليه السلام وقصته يشغلان  
معظم سورة « طه » ) .

كما أن فى سورة « الأعلى » اثنيّنة كالتى فى سورة « طه » .  
هذه هى ملاحظاتى عن المشابهة المرجودة بين السورتين أضعها بين يدي  
الباحثين لعلهم يتخذونها منطلقا لملاحظاتٍ أخرى أعمق . والله الموفق

#### الطائف

ليلة الثلاثاء التاسع من رمضان ١٤١٣هـ

الموافق ٢ من مارس ١٩٩٣ م

# مراجع الدراسة

## ١ - بالعربية

- \* القرآن الكريم
- \* الكتاب المقدس
- \* د . إبراهيم عوض / تفسير مالك غلام فريد الأحمدي / القاهرة
- \* د . إبراهيم عوض / سورة الرعد / دراسة أسلوبية وأدبية / مركز الشرق العربي / الطائف
- \* د . إبراهيم عوض / المستشرقون والقرآن / دار الحقوق / القاهرة
- \* د . إبراهيم عوض / موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم / مطبعة الشباب الحرّ ومكبتها / القاهرة / ١٩٨٧ م
- \* إبراهيم القطان / تيسير التفسير / ط ١ / عمان / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م
- \* أحمد بهجت / أنبياء الله / دار الشروق / القاهرة / ط ١ / ١٩٧٣ م
- \* أحمد شلبي / اليهودية / مكتبة النهضة المصرية / ط ٦ / ١٩٨٢ م
- \* أحمد عبدالغفور عطار / اليهودية والصهيونية / دار الأندلس / بيروت / ط ١ / ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م
- \* الألوسي / روح المعاني / دار إحياء التراث العربي / بيروت
- \* البخارى / صحيح البخارى
- \* ابن حزم / الفصل فى الملل والنحل / مكتبة السلام العالمية / بيروت
- \* ابن حنبل / مسند ابن حنبل

- \* أبوحيان / البحر المحيط / مكتبة ومطابع النصر الحديثة / الرياض
- \* السيوطى / الدر المنثور فى التفسير بالمأثور / دار الفكر / بيروت / ط ١
- / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- \* السيوطى / همع الهوامع / دار المعرفة / بيروت
- \* الشوكانى / فتح القدير
- \* د. صبحى الصالح / مباحث فى علوم القرآن / دار العلم للملايين / بيروت / ط ١٦ / ١٩٨٥ م
- \* الطبرسى / مجمع البيان فى تفسير القرآن / مكتبة الحياة / بيروت
- \* الطبرى / تفسير الطبرى / دار الفكر / بيروت / ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م
- \* الفخر الرازى / التفسير الكبير / دار إحياء التراث العربى / بيروت
- \* القرطبى / تفسير القرطبى / ط دار الشعب
- \* الكرمانى / أسرار التكرار فى القرآن / تحقيق عبدالقادر أحمد عطا / دار الاعتصام
- \* د. محمد أبو النور الحديدى / عصمة الأنبياء والردّ على الشُّبه الموجهة إليهم / مطبعة الأمانة / القاهرة
- \* محمد أحمد العدوى / دعوة الرسل إلى الله تعالى / مطبعة مصطفى البابى الحلبي / ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م
- \* محمد إسماعيل إبراهيم / معجم الألفاظ والأعلام القرآنية / ط ٣ / دار الفكر العربى
- \* محمد الأمين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى / أضواء البيان فى

إيضاح القرآن بالقرآن / مطبعة المدني / ١٩٦٥ م

\* د محمد البهي / تفسير سورة الأعراف / دار الفكر / بيروت / ط ١ /  
١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

\* د . محمد البهي / تفسير سورة الجن / دار الفكر / ط ٢ / ١٣٩٤ هـ -  
١٩٧٤ م

\* د . محمد حمعة عبدالله / افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم / ط ١  
\* محمد الطاهر بن عاشور / تفسير التحرير والتنوير / الدر التونسية للنشر  
/ ١٩٨٤ م

\* د . محمد الطيب النجار / تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة  
النبوية / مكتبة المعارف / الرياض / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣ م

\* محمد على الصابوني / النبوة والأنبياء / دار الإرشاد / بيروت / ١٣٩٠ هـ  
- ١٩٧٠ م

\* محمد فؤاد عبدالباقي / المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

\* محمد الفقي / قصص الأنبياء / مكتبة وهبة / ط ١ / ١٣٩٩ هـ -  
١٩٧٩ م

\* د . محمد محمود حجازي / التفسير الواضح / ط ٤ / ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م

\* مناع القطان / مباحث في علوم القرآن / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٩  
/ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

\* ابن هشام / قطر الندى وبلّ الصدى / تحقيق محمد محيي الدين  
عبدالحميد / ط الأزهر

## ٢ - بالانجليزية

- \* Abdullah Yusuf Ali , The Holy Qur'an , Dar Al Arabia , Beirut
- \* E.J. Brill , First Encyclopaedia of Islam , 1987 .
- \* Mohammed Marmaduke Pickthall , The Meaning of the Glorious Koran , Mentor Book , New York
- \* S. A. A. Maududi , The Meaning of the Qur'an , translated into English by Muhammad Akbar , Islamic Publications Ltd. , Lahore , 2nd ed. ,1978.
- \* The Holy Qur'an : English Translation of the Meanings and Commentary , King Fahd Holy Qur'an Printing Complex , Al-Madinah Al-Munawwarah

## ٣ - بالفرنسية

- \* Le Saint Coran et la traduction en langue francaise du sens de ses versets, complexe du Roi Fahd , Al- Madinah Al-Munawwarah
- \* Muhammad Hamidullah , le Saint Coran , 8<sup>eme</sup> ed., Beirouth , 1973
- \* Sadok Mazigh , Le Coran , Masion Tunisienne de l' edition

## ٤ - بالألمانية

- \* Ludwig Ullmann , Der Koran, Wilhelm Coldman Verlag , Munchen

# الفهرست

٣	المقدمة
٥	مكية السورة
١٤	موضوعات السورة وبنائها
٢٨	مقارنة بين قصتى موسى وآدم فى القرآن الكريم والعهد القديم
٦٣	ملاحظات فى تفسير السورة
١٢٢	مسائل لغوية وأسلوبية فى السورة
١٣٧	بين سورة طه وسورة الأعلى
١٤١	مراجع الكتاب
١٤٥	الفهرست